عبد الرحمن بن مسلم الباهليّ

فاتح شطر خوارزم

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 26 – ص 160 – 169

1395هـ - 1975م

عبد الرحمن بن مسلم الباهلي

فاتح شطر خُوارِزْم (١)

-١-

اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأهله :

هو عبد الرحمن بن مُسْلِم بن عمرو بن الُحصَيْن الباهلي . أبوه مسلم بن عمرو ، يكنى : أبا صالح .

وعبد الرحمن هذا هو أخو قُتَيْبَة بن مسلم الباهلي القائد المشهور الذي فتح ما وراء النهر (٢) .

---

(١) خوارزم : اسم إقليم منقطع عن خراسان وعما وراء النهر ، تحيط به المفاوز من كل جانب حدها متصل بحد الغزية فيما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي على جانبي نهر جيحون ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري (١٦٨) ومعجم البلدان (٤٧٤/٣).

(٢) ما وراء النهر : ما وراء نهر جيحون . فما كان في شرقيه يقال له : ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٠/٧) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦١) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٥٧) وتقوم البلدان (٤٨٣ - ٥١٥) وأحسن التقاسيم (٣١٠) .

جهاده :

١- كان عبد الرحمن من أقوى وأخلص أعوان أخيه قتيبة بن مسلم الباهلي ومن أبرز قادته الذين عاونوه في تحمل أعباء واجباته قائداً فاتحاً وإدارياً .

وقد شهد عبد الرحمن تحت لواء قتيبة غزواته كافة قائداً مرؤوساً تحت إمرة قتيبة مرات ، وقائداً مستقلاً مرات اخرى .

٢- في سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٦م) ، سار قتيبة إلى (رامثينة)(١) فصالحه أهلها . وانصرف قتيبة إلى (مرو)(٢) ، وفي طريق عودته زحف اليه الترك ومعهم (الصُّغْد) (٣) وأهل (فَرْغانة)(٤) في ما ئتي الف بقيادة ملك الترك (كور بغانيون)(٥) ابن اخت ملك الصين ، فهددوا السّاقة(٦) التي كانت بقيادة عبد الرحمن . وكان بين السّاقة وقتيبة الذي كان على رأس (القسم الأكبر)(٧) من الجيش ميل واحد فلما قربوا من السّاقة أرسل عبدالرحمن رسولاً الى قتيبة يخبره بزحف الترك ولكن الترك هاجموا السّاقة في اثناء ذلك وقاتلوه . وأتى الرسول قتيبة ، فرجع

(١) رامثينة : مدينة من أعمال بخاري ، وورد اسمها في ابن الأثير (٥٣٣/٤) : رامثنة .

(٢) مرو : أشهر مدن خراسان وأكبرها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢/٨) .

(٣) الصغد : اسم كورة كبيرة ، قصبتها سمرقند ، والصغد : اسم سكان تلك الكورة أيضاً . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٥) والمسالك والممالك للاصطخري (١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٤٣) .
وتكتب أحياناً : السغد ، انظر مثلا كتاب : البلدان (٢٨٨) .

(٤) فرغانة مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد الترك ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٤/٦) والبلدان (٣٢٢) .

(٥) في ابن الأثير (٥٣٣/٤) ورد اسم ملك الترك : كورنعابون .

(٦) الساقة : جماعة من الفرسان والمشاة لحماية مؤخرة القسم الأكبر من القوات العسكرية المتحركة نحو هدفها .

(٧) القسم الأكبر : الجيش المتحرك نحو هدفه ناقصاً قطع الحماية (المقدمة ـ الساقة ـ المجنبات) .

بالناس وانتهى إلى السّاقة وهي مشتبكة بالقتال — وقد كاد الرك يسحقونها سحقاً ، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوا إلى الظهر حتى انهزم التّرك (١) .

٣— وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٨م) استأذن (نيزك) ملك (طخارستان)(٢) قتيبة بالرجوع إلى بلاده ، وحين وصلها أظهر الخلع . وكتب إلى الملوك يدعوهم إلى خلع قتيبة ، ثم كتب الى ملك (كابل)(٣) يستظهر به وبعث اليه بِثَقَله (٤) وماله ، وسأله أن يأذن له أن يأتيه فأجاب إلى ذلك .

وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند ، فبعث أخاه عبد الرحمن في اثني عشر ألفاً الى (البَرُوقان) (٥) وقال له : « أقم بها ، فاذا انقضى الشتاء ، سر نحو (طخارستان) ، واعلم أني قريب منك » .

وفي آخر الشتاء كتب قتيبة إلى (نَيْسَابور) (٦) وغيرها من البلاد ليقدم

(١) أنظر التفاصيل في الطبري (٥/٢٢٣) وابن الأثير (٤/٥٣٣) . وفي ابن خلدون (٣/٥٩) : «ان التّرك اعترضوا مقدمة قتيبة » لاساقته ! ! » .

وهذا خطأ عسكرياً ، لأن قوات قتيبة كانت في عودتها لا في تقدمها ، وضرب المقدمة في هذه الحالة معناه الاصطدام بالقوة المتحركة كلها وقبول معركة ميدان تصادفيه ، وهذا ليس في مصلحة المهاجم .

بينما مهاجمة الساقة بينما تكون القوة الباقية متحركة قد يقضي على الساقة كما يجبر المسلمين على تنظيم خطة جديدة لحماية الساقة ويضطرهم على التّراجع لحمايتها وسندها ، مما قد يؤدي إلى إرباك صفوفهم .

(٢) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١) والمسالك والممالك للاصطخري (١٥٦) .

(٣) كابل : اسم تشتمل على الناحية ومدينتها ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٠١) وآثار البلاد وأخبار العباد (٢٤٣) .

(٤) الثقل : المتاع ، والشيء النفيس الخطير .

(٥) البروقان : قرية من نواحي بلخ ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٥٧) .

(٦) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٥٦) .

عليه الجنود ، فقدموا قبل أوانهم ، فسار نحو (الطالقان) (١) وكان ملكها قد خلع وطابق (نيزك) على الخلع ، فأوقع قتيبة بأهل (الطالقان) وقتل من أهلها مقتلة عظيمة (٢) .

٤– وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩م) سار قتيبة الى(نيزك) وتقدم يتبع عبد الرحمن الى شعب (خُلم) (٣) .

واستطاع قتيبة مباغتة رجال (نيزك) وطردهم من شعب (خُلْم) ، فمضى قُدماً إلى (نيزك) .

وقدّم أخاه عبد الرحمن ، فارتحل (نيزك) من منزله في (بَغْلان) (٤) ومضى حتى نزل (الكُرْز) (٥) وعبد الرحمن يتبعه ، فنزل عبد الرحمن حذاء (الكرز) وليس له مسلك إلا من وجه واحد – وهو صعب لاتطيقه الدواب ، فحصرْ قتيبة شهرين حتى قلّ ما في يد (نيزك) من الطعام وانتشر في عسكره مرض الجدري .

وأخيراً قدم (نيزك) على قتيبة تائباً ، فقتله قتيبة ، وبذلك عادت تلك البلاد الى الطاعة . (٦)

---

(١) الطالقان : بلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٠٢) .

(٢) أنظر التفاصيل في الطبري (٥/٢٣٠ - ٢٤١) وابن الأثير (٤/٥٤٤ - ٥٤٥) .

(٣) خلم : بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ من بلخ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٥٩).

(٤) بغلان : بلدة بنواحي بلخ ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٤٦) .

(٥) الكرز : وهي كرزبان كما جاء في معجم البلدان (٧/٢٣٧) : بلدة في الجبل قرب الطالقان .

(٦) أنظر التفاصيل في الطبري (٥/٢٣٠ - ٢٤١) وابن الأثير (٤/٥٤٤ - ٥٤٥) .

٥- وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية أيضاً (٧٠٩م) ، سيّر قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى (الصُّغْد) وملكها (طرخون) ، فقبض عبد الرحمن من (طرخون) ما كان صالحه عليه قتيبة ورجع (١) .

٦- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) صالح قتيبة ملك (خوّارزم) فقد سار هذا الملك إلى مدينة (الفيْل) (٢) من وراء النهر ، وهي أحصن بلاده ، فصالح قتيبة على عشرة آلاف رأس (٣) وعين ومتاع ، على أن يعينه على (خام جرد) (٤) ، فقبل ذلك . وقيل : صالحه على مائة ألف رأس (٥) .

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى بلاد ملك (خام جرد) في (خوارزم) الذي كان يغازي ملك (خوارزم) ، فقاتل عبد الرحمن (خام جرد) وقتله وغلب على أرضه (٦) .

٧- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) أيضاً ، دعا قتيبة أخاه عبد الرحمن بعد صلح (خوارزم) وقال له : « سر في الفرسان والرماة ، وقدم الأثقال إلى (مرو) » ، فوجه عبد الرحمن الأثقال إلى (مرو) ومضى يتبع الأثقال يريد (مرو) أيضاً ، فأمضى اليوم كله ، فلما أمسى كتب

(١) أنظر التفاصيل في الطبري (٢٤١/٥ - ٢٤٣) .
(٢) الفيل : كانت مدينة ولاية خوارزم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٤/٦) .
(٣) عدد من يعطي الجزية للمسلمين .
(٤) خام جرد : أحد ملوك أو رؤساء منطقة كائنة في خوارزم، كان يغازي (خوارزمشاه)، أنظر التفاصيل في الطبري (٢٤٦/٥ - ٢٤٨) وابن الأثير (٥٧١/٤) .
(٥) قوله : «على مئة ألف رأس» ، يريد : أن هذا العدد من البشر تؤخذ الجزية منهم ، وإلا فمن المستبعد استرقاق مثل هذا العدد الضخم من الناس ، إذ ماذا يصنع بهم قتيبة بن مسلم ، وأي طعام يكفيهم ، انظر هامش ابن خلدون (٦٣/٣) .
(٦) أنظر التفاصيل في الطبري (٢٤٦/٥ - ٢٤٨) وابن الأثير (٥٧١/٤) وابن خلدون (٦٣/٣) .

اليه قتيبة : « إذا اصبحت فوجه الأثقال إلى (مرو) ، وسر بالفرسان والرماة نحو (الصُّغْد) ، واكتم الاخبار فاني بالأثر » .

وبلغ قتيبة (الصُّغْد) بعد عبد الرحمن بثلاث ليال أو اربع ، وبعد قتال عنيف وحصار طويل ، صالحهم قتيبة ودخل (سمرقند) (١) ، وهكذا فتح قتيبة (خوارزم) و (سمرقند) في عام واحد (٢) .

الانسان :

حين هم قتيبة بن مسلم الباهلي بخلع سليمان بن عبد الملك ، استشار إخوته ، فقال عبد الرحمن : « اقطع بعثاً ، فوجه فيه كل من تخافه ، ووجه قوماً إلى (مرو) ، وسر حتى تنزل (سمرقند) ، ثم قل لمن معك: من أحبَّ المقام ، فله المواساة ، ومن أراد الانصراف ، فغير مستكره ولا متبوع بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح » .

وقال عبد الله أخو قتيبة : « إخلعه مكانك ، وادع الناس الى خلعه ، فليس يختلف عليك رجلان » .

وأخذ قتيبة برأي عبد الله ، ودعا الناس الى خلع سليمان بن عبد الملك ، فلم يجبه أحد . (٣)

واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواصه وثقاته وبنو عمه ، فأمر فنودي في الناس قبيلة قبيلة ، فأجابوه بالجفوة .

---

(١) سمرقند : بلد معروف مشهور بما وراء النهر ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) .
(٢) الطبري (٢٤٨/٥ - ٢٥٥) وابن الأثير (٥٧١/٩ - ٥٧٢) وابن خلدون (٦٣/٣) .
(٣) أنظر التفاصيل في الطبري (٢٣٧/٥ - ٢٧٥) وابن الأثير (١٢/٥ - ١٨) والبلاذري (٥٩٤ - ٥٩٦) وخزانة الأدب للبغدادي (٦٥٧/٣ - ٦٥٨) وسرح العيون (١٠٠) وابن خلدون (٦٨/٣) .

وتألبت القبائل العربية ، وتألبت العجم والتركمان والصغد وغيرهم على قتيبة ، وتخلى عنه الناس .

وتهايج الطرفان ، فأقبل عبد الرحمن نحو أعداء قتيبة ، فرماه أهل السوق والغوغاء ، فقتلوه .

ودارت المعركة بين الجانبين ، وجاء الناس حتى بلغوا فسطاط قتيبة ، فقطعوا أطنابه .

وجرح قتيبة جراحات كثيرة ، ثم نزل رجل فاحتز رأسه .(١)

ترى ! هل كان قتيبة يلاقي هذا المصير المفجع المروّع ، لو أخذ برأى عبد الرحمن ، ففرّق أعداءه والمشتبه بولائهم له ، وجمع حوله المخلصين من أهله وأصحابه ورجاله ، ثم خلع سليمان بن عبد الملك وهو بين قوم يأمن جانبهم ، وحينذاك يعالج أعداءه واحداً بعد واحد متفرقين ؟!

لقد قتل عبد الرحمن في (فرغانة) (٢) مع أخيه قتيبة وقسم من إخوته وقسم من أهله (٣) ، وذلك سنة ست وتسعين الهجرية (٧١٥م) ، وبذلك انتهت حياة أحد القادة الفاتحين .

كان عبد الرحمن ذكياً حصيفاً ، إدارياً حازماً ، كريماً مضيافاً ، صادقاً وفياً ، وكان مؤمناً حقاً ، هدى الله على يديه عدداً ضخماً من الناس الى الأسلام .

القائـد :

كان قتيبة بن مسلم يولي أخاه عبد الرحمن قيادة (المقدمة) في مسير الاقتراب إلى العدو .

---

(١) أنظر قصة مقتل قتيبة في الطبري (/٢٧٣٥-٢٨٥) وابن الأثير (٤/١٢-٢٠) وابن خلدون (٣/٦٨-٦٩) والبلاذري (٥٩٤ - ٥٩٦) .

(٢) البداية والنهاية (٩/١٩٨) والمعارف (٤١٦ و ٤٣٣) ووفيات الأعيان (٣/٢٥٠) .

(٣) الطبري (٥/٢٨) وابن الأثير (٥/١٧) .

وكان يوليه (الساقة) عند التراجع والانسحاب .

ان قيادة (المقدمة) و (الساقة) على حد سواء ، توجب على القائد ألا يظهر العدو على عورات القوات التي يحميها من جهـة وألا يخفى عليـه من عورات القوات المعادية شيئ ، وهذا لا يتم إلا بتحلي القائد بمزايا الحذر واليقظة والكتمان والذكاء الخارق وسرعة الحركة ثم باذكاء العيون والجواسيس (١) والاستطلاع الشخصي .

وبالاضافة الى كل ذلك ، تحتاج قيادة المقدمة والساقة إلى تحلي القائد بقابلية إعطاء القرارات السريعة الصائبة وبالنشاط الجم والعمل الدائب المستمر بدون كلل ولا ملل والشجاعة والاقدام والقابلية البدنية والتدريب المتميز على استعمال السلاح والفروسية .

إن عبدالرحمن ـ قائداً للمقدمة ـ في مسير الاقتراب ، وللساقة في التراجع والانسحاب كان أقرب مايكون الى العدو في الحالتين ، وهذا دليل على شجاعته النادرة وإقدامه الفذ .

لقد كان عبد الرحمن قائداً كتوماً حذراً يقظاً ، يتقدم وهو مفتوح العينين على هدى وبصيرة ، لما يحصل عليه من معلومات عسكرية دقيقة عن عدوه : تحركاته ، تشيكلاته ، أساليب قتاله ، مزايا قادته وقواته ، نقاط الضعف فيهم ، تسليحه ، تنظيمه ، تدريبه ، معنوياته ، قضاياه الأدارية ، طبيعة الأرض التي يتقدم فيها ويقاتل عليها .

وكان صائب القرار سريعه ، فيه أناة الواثق بنفسه ، ولم يكن متهوراً يلقي برجاله الذين بقيادته وبالقوات التي تحيمها الى التهلكة والدمار .

---

(١) أنظر مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٩) .

وكان بعيداً عن الغرور ، لايستخف بعدوه ، يدخل في حسابه أسوأالاحتمالات كل هذه المزايا ، جعلته موفقاً في قيادة المقدمات والسّاقة ، فلم يترك مجالاً لعدوه أن يباغت قواته التي بأمرته المباشرة أو قوات قتيبة التي تحميها تلك المقدمات والسّاقات .

وكان يتحمل كامل المسئولية ولا يتنصل منها ، مستعداً لاتخاذ القرارات المناسبة في المكان والزمان المناسبين .

وكان يثق بنفسه وبرجاله ويثق رجاله به ، وكان يبادلهم حباً بحب وتقديراً بتقدير .

وكان ميمون النقيبة ، كامل العقل ، طويل التجربة ، بعيد الصوت ، بصيراً بتدبير الحروب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، حسن التعبية لأصحابه في أحوال التعبية ، عالماً بالوقت المناسب لتسييرهم أوان المسير وإنزالهم أوان النزول ، حريصاً على إدخال الأمن على رجاله والخوف على عدوه ، متشبثاً بأسباب إدخال السلامة لنفسه ولأصحابه من العدو ، حسن السيرة ، عفيفاً ، صارماً ، يهتم بالسيطرة والضبط ، له ماض ناصع مجيد .

وكان يحسن استخدام مبدأ (المباغتة) في عملياته العسكرية لقد كان عبد الرحمن قائداً متميزاً .

عبدالرحمن في التاريخ :

يذكر التاريخ لعبد الرحمن أنه كان السّاعد الأيمن لأخيه قتيبة في حروبه وفي واجباته الادارية .

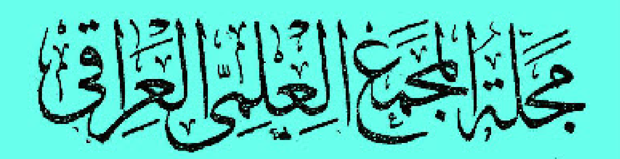
ويذكر له ، أنه فتح منطقة واسعة من بلاد (خوارزم) ونشر الاسلام في ربوعها .

ويذكر له ، أنه كان من ابرز العاملين في مجال توطيد أركان الفتح الاسلامي في (خراسان) و (خوارزم) ومناطق ما وراء النهر .

ويذكر له أنه نشر الاسلام بين العجم والتركمان والصُّغْد وكثير من القوميات في المناطق الشاسعة التي عمل على فتحها .

رضي الله عن القائد الفاتح ، عبد الرحمن بن مسلم الباهلي .

* * *



المجلد السادس والعشرون



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

فهرس المجلد السادس والعشرين